الزاوية التجانية باب الخضراء – تونس

الإمام الخطيب – الحاج الحبيب بن حامد

الصــــدقـــــة

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 13 فيفري 2015 م

الحمد لله،

الحمد لله ذو الفضل والجود والكرم الباقي المتفضل به على كلّ موجود أحمده سبحانه وتعالى حمدا يليق بجنابه العظيم وأستغفره وأتوب إليه من كلّ الذنوب،

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له قال في متابه العزيز ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[[1]](#footnote-1)، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله أمرنا بالصّدقة وصدقة السرّ فقال صلّى الله عليه وسلّم « إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ »[[2]](#footnote-2) صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الموعود.

عباد الله،

قال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾[[3]](#footnote-3) وها نحن نذكّر بعضنا البعض آملينا أن تنفعنا الذّكرى فتقودها إلى العمل بالموعظة الحسنة ويكتبنا الله تعالى بتوفيقه وفضله ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ قَالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾»[[4]](#footnote-4).

جُنّة : وقاية وحماية

جوف الليل : ثلثه الأخير

إخواني الكرام،

هذا الحديث لو تطرّق الانسان لبيان ما فيه من الدّين لألّف فيه المجلّدات ولكن نأخذ بطرف ونركّز على خير الصّدقة وصدقة السرّ،

لقد سألت عن عظيم أي عن أمر خطير ما يدخل الجنّة وما يبعد عن النار، أمر جلل ليس بالهزل ولكنّه يسير إذا يسّره الله تعالى.

* إذاً من هنا لا بدّ الإنسان أن يطلب من الله التوفيق والتيسير والتقوى فهي من عطايا الله وإكرامه لعبده سبحانه وتعالى، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ « ... يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ... »[[5]](#footnote-5).
* تعبد الله لا تشرك به شيئا، وهو الإخلاص عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا شَيْءَ لَهُ » فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا شَيْءَ لَهُ » ثُمَّ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ »[[6]](#footnote-6).
* وتقيم الصلاة، ليس هنا تؤدّي الصلاة بل تقيم الصلاة وهو روح الصلاة وسرّها وهو إكمال وضوئها وفرائضها خاصّة ركوعها وسجودها ثمّ الحضور فيها أي أن يكون المصلّي حاضرا بقلبه في تلك الصلاة، يشاهد الصلاة، يكون القلب مشاهدا مولاه أي مستحضرا جلال الله سبحانه وتعالى وجماله حتّى تكون الصلاة صلاة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ »[[7]](#footnote-7).

إلى أن قال « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ »

* الصيام جُنّة : وقاية وحاجز من النار.
* والصدقة تطفىء الخطيئة، نتوقّف قليلا عند هذا الباب العظيم المفتوح الحمد لله.

الصّدقة إخواني لها منافع عظيمة ولكن بشرط أن تكون خالصة لله تبارك وتعالى وإلاّ كانت رياءاً لا معنى لها ولا وزن لها عند الله.

أمّا الزكاة فهي فرض وأمّا الصدقة فهي نافلة تحبب إلى الله وتفتح أبواب الرزق وتداوي الأمراض المستعصية جسديّة وقلبيّة وتطفىء عن صاحبها حرّ القبور وتجعل صاحبها في ظلّ الله تعالى يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[[8]](#footnote-8).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »[[9]](#footnote-9).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعَاءَ »[[10]](#footnote-10).

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ »[[11]](#footnote-11).

عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا « يَا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنْ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنْ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنْ الشَّبْعَانِ »[[12]](#footnote-12).

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ »[[13]](#footnote-13).

فلنعوّد إخواني أنفسنا إخراج الصدقات وإن كانت قليلة فلا تنظر إلى قلّتها وإن كانت شقّ تمرة وانظر قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[[14]](#footnote-14)،

وقوله صلّى الله عليه وسلّم « مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ »[[15]](#footnote-15).

فَلُوَّهُ : هو المهر الصغير إذا عظم.

فَصِيلَهُ : الفصيل هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

واعلموا إخواني أنّ إخفاء الصدقة هو من الدّين القيّم الذي يزكّي العبد به عَمَلَهُ ويجعله خالصا لوجه الله تعالى ويرجو قبوله منه سبحانه وتعالى. فإن كانت الصدقة جهرا فهي خير عظيم إذا نجت من الرّياء ففيه إظهار للعمل بأبواب الخير حتّى يُعلَم ويقتدى به وإن كانت سرّاً فهي أوثق وأثبت عند الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[[16]](#footnote-16)، وقوله عزّ من قائل ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾[[17]](#footnote-17)، وقد ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّ صدقة السرّ أي إخفائها هي من كنوز البرّ « مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ، وَالْأَمْرَاضِ، وَالصَّدَقَةُ »[[18]](#footnote-18)، وثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أن صدقة السرّ أفضل من سبعين صدقة في العلانية وهي كناية عن الكثرة، قال صلّى الله عليه وسلّم « ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ودعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية وصدقة فى السر أفضل من سبعين صدقة فى العلانية »[[19]](#footnote-19).

وقد نقل على زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهما يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين ويقول إنّ الصدقة في سواد الليل تطفىء غضب الربّ ولمّا مات وُجد في ظهره أثر أسود فقال الغاسل ما هذا فقيل إنه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويعطيه لفقراء أهل المدينة وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال « مرحبا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجرة منا حتى يضعه بين يدي الله عزّ وجلّ ».

اللهمّ وفّقنا لصالح الأعمال لا يوفّق لها إلاّ أنت، واجعلنا من المتصدّقين بالليل والنهار سرا وعلانية وتقبل منا وتب علينا إنّك أنت التواب الرحيم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

1. سورة البقرة الآية 271 [↑](#footnote-ref-1)
2. الطبراني في المعجم الكبير من حديث بَهْزِ بن حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ

وفي رواية البيهقي في شعب الإيمان : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء » [↑](#footnote-ref-2)
3. سورة الأعلى الآية 9 [↑](#footnote-ref-3)
4. أخرجه الإمام أحمد في مسنده

عن عَبْدُ اللَّهِ بن مَعْقِلِ بن مُقَرِّنٍ الْمُزَنِيُّ، عَنْ كَعْبٍ قال، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ، وَالنَّاسُ غَادِيَانِ: ضَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا، وَفَادٍ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَالصَّلاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِيءُ الْمَاءُ النَّارَ » أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [↑](#footnote-ref-4)
5. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » أخرجه مسلم في صحيحه بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ [↑](#footnote-ref-5)
6. أخرجه النسائي في سننه مَنْ غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ [↑](#footnote-ref-6)
7. أخرجه ابن ماجة في سننه بَاب مَا جَاءَ فِي الْغِيبَةِ وَالرَّفَثِ لِلصَّائِمِ [↑](#footnote-ref-7)
8. أخرجه البخاري في صحيحه بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا [↑](#footnote-ref-8)
9. أخرجه مسلم في صحيحه بَاب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ [↑](#footnote-ref-9)
10. الطبراني في المعجم الكبير [↑](#footnote-ref-10)
11. البخاري في صحيحه بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ [↑](#footnote-ref-11)
12. أخرجه الإمام أحمد في مسنده [↑](#footnote-ref-12)
13. البيهقي في شعب الإيمان [↑](#footnote-ref-13)
14. سورة البقرة الآية 274 [↑](#footnote-ref-14)
15. أخرجه مسلم في صحيحه بَاب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنْ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا [↑](#footnote-ref-15)
16. سورة البقرة الآية 271 [↑](#footnote-ref-16)
17. سورة البقرة الآية 274 [↑](#footnote-ref-17)
18. البيهقي في شعب الإيمان [↑](#footnote-ref-18)
19. السيوطي في الجامع الكبير من حديث أبي هريرة [↑](#footnote-ref-19)